بان الله منزه عن المكان والجهة وانه بريء من الاستواء بالجلوس والاستقرار بل مراده به شيء آخر الا انا
لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطاء وقال البعض الا انه لما قامت الادلة العقلية على امتناع
الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى الاستقرار ولم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة
كون الشيء الواحد منزها عن المكان وحاصلا فيه معا ولا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع
النقيضين معا وهو باطل ولا الى ترجيح النقل على العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية
وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثة الرسل لم يثبت النقل فالقدح في العقل لاجل تصحيح النقل يقتضي القدح
في العقل والنقل معا فلم يبق الا ان نقطع بصحة العقل ونشتغل بتاويل النقل ثم انهم اختلفوا في تاويله
فقال بعض العلماء المراد من الاستواء الاستيلاء والاقتدار كما في قول الشاعر قد استوى بشر على العراق والمراد
من العرش الذي يحمله الملائكة وقال صاحب الكشاف العرش سرير الملك والاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه
من توابع الملك وارادفه فانه لو قال استوى فلان على العرش فقد قصد الاخبار عنه بانه ملك وان لم يقعد
على العرش البتة والتعبير عن الشيء بطريق الكناية ابلغ واوقع من الافصاح بذكره لانك مع الكناية كمدعي
البينة **قوله** ليدل بذلك على كمال قدرته فان ما في السموات من الملك والنجم وغيرهما وما في الارض
من المعدن والنبات والحيوان والانسان وما بينهما من العناصر وما تحت الثرى مما لا يعلم الا الله اذا
كان لله خلقا وملكا وتحت قدرته وامره لا يمتنع منه شيء عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال
قدرته وارادته فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون لله ما تحته
اجاب الامام عنه بان الثرى في اللغة التراب الندي فيحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت او الصخرة
او البحر او الهواء على اختلاف الروايات وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب
جاف وهو ما سفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اي يعلم ما تحت الارض ما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها
وما بينهما وما بين السماء وعن السدي ما تحت الثرى التي تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون
اراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم
احد فوق السدرة الا هو قيل السدرة شجرة في السماء السابعة يماثل الجنة اصلها في الجنة وعروقها تحت
الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم تغشاها الملائكة
كانهم فراش من الذهب عليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل وسطها **قوله** وان تجهر
بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك جواب عما يقال قوله فانه يعلم السر واخفى جزاء الشرط ومن شرط
الجزاء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بكل شيء ما ليس مسببا عن شيء من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر
المخاطب بالقول وتقرير الجواب ان جزاء الشرط لا يكون الا جملة ومشروط المسبب عن الشرط قد يكون مضمون
تلك الجملة التي هو وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما في قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم فان الجزاء المسبب عن الانفاق هو مضمون قوله تعالى فلهم اجرهم عند ربهم
وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون مشروطا اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما في قوله تعالى

كما في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله
بل هو سبب للاخبار بانها من الله وما نحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزاء
بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السر واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره
للاشارة الى ان ما هو جزاء حقيقة محذوف في الاية واقيم مقامه ما يدل عليه فان علم السر واخفى يستلزم الغنى
عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم **قوله** وهو ضمير النفس
اي المراد بالاخفى ما تضمر النفس ولم يظهره لاحد لا سرا ولا جهرا وبالسر ما اسررته الى غيرك وبالجهر ما رفع
به صوتك **قوله** حقا تمهيد لنبوته بقصة موسى اي اتبعها ذكره تمهيد النبوة هو قول الله وهو قوله وما انزلنا
عليك القران لتشقى الاية قصة موسى يقال قفوت فلان اي تبعته وقفيته بفلان اي اتبعته اياه يريد ان
قوله تعالى وهل اتيك حديث موسى الى اخر الايات جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى
على طريق عطف القصة على القصة ليكون معينا له وحملا على الاقتداء بموسى في تحمل اعباء النبوة فان هذه
السورة من اول ما نزل فاحتيج فيها الى الارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسليته عما ناله من عناد
المعاندين ومعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم
وغير ذلك كما انزلنا على موسى التورية لذلك **قوله** قوله تعالى وهل اتيك يحتمل ان يكون اول ما اخبر الله به
من امر موسى فيكون الاستفهام في هل اتاك للانكار اي لم ياتك الى الان وقد اتاك الان فتنبه له وهذا قول
الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكانه قال اليس قد اتاك **قوله** في ليلة شاتية
اي ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اي اقمت به الشتاء **قوله** مثلجة اي ذات ثلج وفي الكشاف وقدح
فصلد زنده اي صوت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوت ولم يخرج نارا قيل كان موسى
رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امراته فلذلك اخطا الطريق **قوله** بشعلة من النار اي شيء فيه من
اللهب من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست نارا في راس عود او فتيلة او غيرهما قال
اكثر المفسرين ان الذي راه موسى لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام
حسبه نارا فلما دنا منه راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة
ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجر تغير ضوء النار فسمع تسبيح
الملائكة وراى نورا عظيما قال الامام والصحيح انه راى نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء
ولما كان حصولهما اي حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء
والطمع فقال لعلي آتيكم منها ولم يقطع بان يقول اني اتيكم لئلا يعد ما لم يستيقن الوفاء
به انظر كيف احترز عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل اني اتيكم بل قال لعلي اتيكم وانما قال او اجد على النار
هدى لان النار قلما تخلو من اهل لها وناس عندها **قوله** كما قال سيبويه في مررت بزيد تاييد لقوله او
المستعلون المكان القريب منها فانه لما جعل اللصوق بمكان يقرب من زيد بمثابة اللصوق بنفس زيد جاز
ان يجعل استعلاء مكان يقرب النار بمثابة الاستعلاء نفس النار **قوله** قيل انه لما نودي قال من المتكلم فلما نودي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)